مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 10/ العدد: 01- جانفي (2024)

تاريخ الاستلام: 2023/09/07 تاريخ القبول: 2024/01/07 تاريخ النشر: 2024/01/21

الأساليب التّصويريّة وأبعادها الحجاجيّة في قصّة يوسف عليه السّلام

✍ الونّاس نصيرة
n.lounnas@univ-boumerdes.dz
جامعة امحمّد بوقرّة بومرداس/الجزائر

The Conceptual Methods and their argumentative dimensions in the prophet Yusuf's story -peace be upon him-

✍ Dr.Lounnas Nassira
n.lounnas@univ-boumerdes.dz
University of Mhamed bouguerra Boumerdes /Algeria

ملخص البحث

تحاول هذه الدّراسة استجلاء أهمّ الأساليب التّصويريّة التي نعثر عليها في قصّة يوسف عليه السّلام، كيف تتمظهر، وما هي فاعليتها في تحصيل الأثر التّداوليّ المتمثّل في الإقناع.

وعلى العموم تهدف الدّراسة إلى الكشف عن الأبعاد الحجاجيّة لقصّة يوسف عليه السّلام، من خلال الكشف عن الأبعاد التأثيرية للأساليب التّصويريّة، هذه الأخيرة التي نراها قد تنوّعت بشكل لافت في القصّة، كما عملت على توجيهها معنويا بما انطوت عليه من أبعاد تأثيريّة؛ لم تخرج في عمومها عن إمتاع العاطفة و إقناع العقل في تناغم تام، ممّا لا ينفصل عن ملامح الإعجاز البيانيّ للقصّة القرآنيّة. وقد خلصنا من خلال الدّراسة إلى أنّ قصّة يوسف تنطوي على أنواع مختلفة من الأساليب التّصويريّة؛ تتراوح بين الأساليب الفنيّة، والآليات البلاغيّة، والأدوات اللّغويّة، التي عملت كلّها على تجسيد المشاهد القصصيّة، ممّا جعلها ذات أبعاد تأثيرية لا تنفصل عن المغزى العام للقصّة.

الكلمات المفتاحية: الأساليب التّصويريّة، أساليب الإقناع، الأبعاد الحجاجيّة، القصة القرآنية، قصّة يوسف.

ABSTRACT:

This study attempts to clarify the most important conceptual methods we find in the prophet Yusuf's story - peace be upon him -, how they appear, and what their effectiveness is in collecting the pragmatic effect of persuasion

Generally, the study aims to reveal the argumentative dimensions of the prophet Yusuf's story - peace be upon him-by indicative the influential dimensions of the conceptual methods, which we see as having been remarkably diverse in the story.broadly, it did not depart from entertaining passion and convincing the mind in a perfect harmony, which is inseparable from the features of the graphic miracle of the quranic story. Through the study, we concluded that Yusuf's story involved different types of conceptual methods; Ranging from artistic methods, rhetorical mechanisms, and linguistic tools, all of which have embodied story scenes, making them of an influential dimension inseparable from the overall significance of the story.

Keywords: conceptual methods; methods of convincing; argumentative dimensions; quranic story; prophet Yusuf's story

1. مقدمة:

يزخر الخطاب القرآنيّ بأساليب متنوّعة ذات فعاليّة قصوى في إحراز الأثر التّداوليّ المتمثّل في الإقناع، وهي على أنواع مختلفة بدء بالإقناع بالحرف والكلمة والتّركيب، إلى الإقناع بأنماط الأساليب التي تراوحت بين التّرغيب والتّرهيب، إلى الإقناع بالمنطق السّليم والاستناد إلى البرهان القويم بطريق القصص والتّمثيل، مع الاهتمام بجذب انتباه القارئ واستمالته عاطفيا عبر أساليب إمتاعية متنوّعة. وهذا التّلازم بين التّأثير في العاطفة والعقل معا يمثّل أعلى مستويات البلاغة القرآنية.

وبناء على هذا الطّرح تأتي هذه الورقة البحثيّة لتعالج قصّة يوسف وأبعادها التأثيرية، وتتأتّى أهمية هذه الدّراسة في طرح وجه من وجوه الإعجاز البيانيّ للقرآن، الذي جسّدته القصّة، باعتبارها نموذجا خطابيا متفرّدا بخاصية الإقناع. وبالتالي فقد سعت هذه الدّراسة إلى الكشف عن تلك الأبعاد التأثيرية للأساليب التّصويريّة، وعن كيفية تجسيدها في القصّة من خلال عناصر القصّ المختلفة، وكذا الآليات البلاغية والأدوات اللّغوية، التي ينظر إليها باعتبارها من الأساليب التّصويرية؛ إذ لولاها لما أمكن الحديث عن تصوير أصلا. يضاف إلى ذلك كلّه الكشف عن أهمية المقاربة التّداولية في معالجة هذا الموضوع، ممّا لا ينفصل عن الإشكالية العامة التي بنيت عليها الدّراسة، والمتمحورة حول تحديد الأساليب التّصويريّة وتمظهراتها في قصّة يوسف، ودورها في تحصيل الأثر التداولي المتمثّل في الإقناع.

انطلاقا من هذه المعطيات تقوم الدّراسة على فرضية مفادها تفرّد قصّة يوسف بمجموعة من الأساليب التّصويريّة ذات الأبعاد التأثيرية، والحديث عن هذه الأخيرة يستهدف التّأثير في العاطفة والعقل معا.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة، وبلوغ الهدف من الدّراسة، وثبت الفرضية، فقد تمّ توزيع المتن على مجموعة من العناصر، اعتمدنا في عرضها على المنهج التّداولي.

2. القصّة القرآنية والحجاج:

1.2 منطلق الحجاج:

للخطاب منطلقات حجاجية مدارها على مقدّمات تؤخذ كمسلّمات، ومن مقدّمات الحجاج عند بيرلمان الحقائق، التي "تقوم على الرّبط بين الوقائع، ومدارها على نظريات علمية، أو مفاهيم فلسفية أو دينية"[1]. وفي هذا الإطار ينظر إلى قصّة يوسف كحقيقة من الحقائق الدّينية.

2.2 القصّة القرآنية كفعل حجاجيّ

ينظر إلى القصّة القرآنيّة باعتبارها وسيلة للتوجيه والتّلقين والموعظة المتأتيّة عن طريق «التّأمّل فيما جرى ومعرفة مصير المكذّبين وعاقبة المؤمنين»[2] وعلى هذا الأساس يمكن النّظر للقصّة هنا كفعل توجيهيّ يستهدف متلقيّا كونيا،هو جمهور السّامعين على اختلاف الأزمنة والأمكنة (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب).

ومادامت قصّة يوسف واقعة حقيقية فهي تمثّل حجّة في حدّ ذاتها، تندرج ضمن صنف الحجج المؤسّسة على بنية الواقع[3] ، باعتبارها تعتمد بنى الواقع، وقد صيغ الدّليل فيها وأخذ صورته من واقع الحياة في حوادثها، ممّا يجعل الآذان تصغي لها، والنّفوس تميل، وتتأثر بما فيها من عبر[4].

لقد أعطى الخطاب القصصيّ للصيغة التّعبيريّة أهميّة فائقة حتى كانت لغتها لغة حجاجيّة، دون تهميش جانب السّلوكات والأفعال؛ حيث يمكن أن نلمس ذاك البعد التّداوليّ في الخطاب التّأدّبي والتربية بالقدوة ليعقوب مع أبنائه، وخطاب يوسف مع امرأة العزيز، ومع صاحبي السّجن، وإخوته، ممّا يثبت لنا فكرة أنّ المرسلين والصالحين عامة «كانوا يربّون ويعلّمون بأعمالهم وأخلاقهم وحسن أدبهم أكثر ممّا كانوا يربّون ويعلّمون بخطبهم وأقوالهم وإصدار الأوامر إلى أتباعهم»[5]. ومن جهة أخرى يمكن النّظر إلى ما لاقاه يوسف من أنواع البلاء من أقرب الناس إليه كحجّة لتسلية قلب النبيّ ومواساته بما لاقاه من أذى القريب والبعيد.

والأكثر من ذلك يقدّم القرآن دليلا آخر على صدق نبوّة "محمّد" عليه السّلام، بسرد وقائع من أنباء الغيب. لذلك نراها قد زاوجت بين الإثارة والمتعة، مع تحقيق المغزى[6]؛ فإذا كانت تلك القصص صورة صادقة لقيم الإنسان والوحدانيّة، فإنّها قصص يتزاوج فيها الصّدق الواقعيّ بالصّدق الفنّي بهدف تحريك الوجدان، ومن ثمّة مدارك العقل، لذلك شكّلت القصص أحد الأساليب التي حملها القرآن ليحاج بها النّاس[7].

3. الأساليب التّصويريّة في القصّة:

لقد تنوّعت أساليب البلاغة في القرآن الكريم، ونخصّ بالذّكر القصّة القرآنيّة، نظرا لما تنطوي عليه هذه الأخيرة من أبعاد تأثيريّة، تشمل جميع جوانب النّفس الإنسانية، بما فيها العاطفة والعقل. فالنّفس البشرية لا تخضع للحقائق إلا بإقناع عاطفيّ، يستتبع حجّة وبرهانا عقليّا، والأمران معا متلازمان لتربية النّفس تربية ناجحة.

1.3 أساليب الإقناع العاطفيّ:

1.1.3 الإمتاع وبعده التّشويقي

تعدّ القصّة القرآنية أكثر الوسائل التربوية تشويقا لما لها من تأثير كبير على النّفوس الميّالة إلى كلّ ما هو قصصيّ، ودور فعّال في غرس الإيمان والقيم الفاضلة في المجتمع؛ لذلك كانت ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الاستمالة العاطفية والإقناع العقلي.

تتميّز القصّة أكثر ما تتميّز بالبناء على أسلوب التّشويق المحقّق للإمتاع؛ وهو جذب انتباه القارئ وجعله متابعا للأحداث، شغوفا بالتفاصيل، ومن هذا المنطلق شكّل القصّص القرآنيّ وسيلة ناجعة يمكن من خلالها إقناع القارئ وإمتاعه في آن واحد. لهذا يوجد في قصّة يوسف من التمتّع والانتفاع ما لا يوجد في غيرها من القصص؛ المتعة في مطلعها، وفي أحداثها المتسلسلة، بالإضافة إلى الانتفاع

بمقاصدها، كل ذلك يعطى للقارئ آمالا وراحة وتمتّعا بقراءتها، ممّا يخلق لديه استمالة عاطفية تعمل على التأثير فيه لبلوغ استمالة عقلية، وفي ذلك يرى بيرلمان وتيتيكاه أنّ: "الحجاج غايته إحداث التأثير العملي الذي يمهّد له التأثير الذّهنيّ"[8].

2 .1.3 القصّ وبعده التأثيري

1.المتعة في أسلوب التّصوير الخارجي للقصّة: وهذا لإظهار البناء العام للقصة، للتعرّف على المواضيع الأساسية فيها والمتمثلة فيما يلي:

أوّلا.بداية القصّة: هي بداية مثيرة للتشويق، هادئة تزيح الستار عن المشهد رويدا رويدا **{ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4)}** وفي مشهد البداية يظهر ذلك الحوار بين يوسف وأبيه عن رؤيا هي بمثابة اللغز المحيّر بما تضمنته من رمزيّة، كما نجد التمتّع بالتشويق عمّ سيكون تأويل رؤياه، خاصة إذا علمنا أنّ عملية التنبّؤ بما سيحدث تظل واحدة من أدوات التمتّع و الإثارة[9].

ثانيا.نهاية القصّة: بعد هذه البداية تتوالى أحداث الحياة لتحوّل الرّؤيا إلى أمر واقعي، وخلال تلك الأحداث يتقلّب يوسف في أوضاع مختلفة: طردا وتشريدا، إغواء وسجنا، فقرا وغنى[10].وتبقى الأذهان مترّقبة لما سيكون بعد ذلك، حتى يوقفنا القرآن على مشهد النهاية، وهي نهاية سعيدة مفرحة، تغمرها بهجة اللقاء بعد طول فراق.

وهكذا يتوافق مطلع القصة مع ختامها وتجيء التعقيبات في ثناياها، متناسقة مع موضوع القصّة وطريقة أدائها. فهي رؤيا تتحقّق رويدا رويدا يوما بعد يوم[11].

ثالثا.طبيعة الشخصيات: شخصيات القصّةهي التي تبعث الحركة والحيوية في القصة وتجعلها تبدو في صورة واقعية، وعادة ما ينظر إلى الشخص على أنّه "مجمل المعلوم من أعماله؛ أي بتعبير أدقّ هو العلاقة بين ما ينبغي أن نعتبره جوهر الشّخص، وبين أعماله التي هي تجلّيات ذلك الجوهر"[12]. وتنوّع نماذج الشخصيات التي تقدّم في القصّة من العوامل التي تمنحها مزيدا من التّشويق والإثارة والحيوية.

وعلى العموم تتوزّع شخصيات القصّة إلى:

أ-شخصية أساسية: يمثّلها يوسف،بما تحمله شخصيته من صفات جسديّة، وأخرى روحانية.

ب-شخصيات ثانوية:هي كثيرة، يظهر دورها فبزيادة المتعة، من خلال عملها على إثارة المشاكل، أو النّصح ومساعدة البطل. وقصّة يوسف تطوي النوعين داخلها، نذكر منها:

-**يعقوب عليه السّلام**، الشّخصية الحكيمة الحزينة الصابرة. وهذا الحزن المرافق للصبر يثير هيجانا في النفس ورأفة ورحمة بهذه الشّخصية، وتمنّي الاقتداء بها فتزيد بها القصّة تشويقا ومتعة.

-**إخوة يوسف:** تعتبر الجزء الشّرير في القصّة لما امتازت به من الحسد، والسّعي في الفساد، والإقدام على القتل، والكذب. كانت السبب فيما ألمّ بيوسف من محن منذ إبعاده عن والده.

-**امرأة العزيز**: هي المرأة اللّعوب صاحبة الكيد والغواية، كانت السبب في دخول يوسف السّجن.

-**العزيز:**شخصية منهمكة بعملها لا ببيتها ممّا أدّى إلى إقدام الزوجة على مراودة فتاها في بيت زوجها، وهذا ما يزيد هذه الشّخصية انتقادا وبالتّالي أخذ العبرة منها.

-**السّيارة:**هم مجموعة من البدو،وتشويقها يكمن في المساومة على بيع يوسف ولمن سيباع؟

-**الشّاهد:**الذّي أشار إلى موضع قدّ القميص، أضاف قيمة أخلاقية للقصّة، وهي قول الحقّ.

-**النّسوة:** كنّ السّبب في إذكاء نار الغوايةبما أثرنه من إشاعات عن امرأة العزيز.

-**الفتيان:**هما صاحبا يوسف في السّجن، وهما نموذجان يمثّلان الحياة اليومية، ساهمت في إخراج يوسف من السّجن وبلوغه الحكم، ممّا أكسبها قيمة إيجابية.

-**الملك:** شخصيةغيّرت مجرى القصّة تماما؛ حيث فتح طريقا جديدا على بطل القصّة.

إنّ هذا التنوّع في الشخصيات أفرز تنوّعا في الأعمال الصّادرة عنها، فكان التوجيه الحجاجيّ: عمل/ شخصية، هو الذي طبع سيرورة الأحداث، لأنّ الأعمال التي أسندت للشخصيات كانت سببا في الكشف عن جوهرها.

وبالنظر إلى السّمات التّمييزية للشخصيات يمكن أن نستخلص تلك المواقف التّعارضية التي تطبعها، ممّا يمنح القصّة ككل طابعا حجاجيّا؛ حيث يكون النصّ حجاجيا من وجهة نظر بيرلمان حين يحمل بذرة خلاف، تتضمّن قصدا تأثيريا، بنيّة تحويل أو تعديل وجهة تفكير المخاطَب[13]. ومن تلك المواقف المتعارضة نذكر:

-يوسف/إخوته: موقف الطّيبة والبراءة -موقف المكر والخداع

-يوسف/زوجة العزيز والنّسوة: موقف المتعفّف الممتنع –موقف المحرّض والمغري

-يوسف/صاحبي السّجن: موقف الدّاعية الحكيم –موقف الجاهل المستفهم

-يوسف/إخوته: موقف الحازم القويّ –موقف المتذلّل الضعيف

وعلى هذا الأساس تعتبر الشخصية الحجاجية شخصية ذات صفات معيّنة، ومنشئة لأعمال معينة[14] . إنّ هذا الاتّصال التواجديّ بين الشخصية وعملها يعدّ من منظور بيرلمان وتيتيكا نوعا من أنواع الحجج المؤسّسة على بنية الواقع.

رابعا.تحديد الطّبائع: تجلي لنا القصّة "عنصر الحبّ الأبويّ.... كما يتجلّى فيها عنصر الغيرة... هذا إضافة إلى عنصر المكر والخداع وذلك في خداع إخوة يوسف لأخيهم، ومكر امرأة العزيز. وعنصر النّدم في بعض ألوانه، والعفو في أوانه"[15].

خامسا.المغزى: هي قصّة تقدّم أنموذجًا مثاليًّا للاقتداء به وقد تضمّنت في طيّاتها مشاهد الألم والأمل، ومرارة الفراق، وحلاوة اللقاء، كما عرضت قِصّة اليأس، واليقين، والظلم، والقهر، والابتلاء، والصّبر، والنّصر. واقترنت فيها القدرة على الانتقام بالعفو والصفح، والتمكين بعد الابتلاء.

2.المتعة في أسلوب التّصوير الدّاخلي للقصّة

أوّلا.أسلوب القصّ:من مظاهر الإعجاز القصصيّ المحقّق للتّأثير ذاك النّظم المعجز للقصّة ككل بجزئياتها، التي نراها تستهل بتقديم نقطة الانطلاق[16]؛ عن طريق الإيحاء لما سيقت له القصة التي جاءت لتدعم تلك الحقيقة الممهّدة؛ حيث نراها تعرض في البداية لفكرة تفرّد القرآن بالغيبيات للتدليل على نبوّة محمد {**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ(3)}**. هذاالمقدّمة الحجاجية هي ما يندرج في إطار المواضع (منطلقات الحجاج) حسب بيرلمان وتيتيكا، وتحديدا ضمن موضع الكيف؛ الذي مثّلا له بـ"الحقيقة التي يضمنها الله فهي واحدة في مقابل آراء البشر المختلفة..."[17].

إذا نظرنا إلى أسلوب القصّة نجده مبنيا على خاصية الإمتاع؛ وذلك من حيث طبيعة أحداثها وترتيبها؛ ضف إليه التسلسل المنطقي في عرض الأحداث، بالبناء على السّابق والتقديم للّاحق؛ حيث نراها بدأت برؤيا وانتهت بتفسيرها.

ثانيا.البلاغة في اختيار اللّفظ: ورد في القصّة من البلاغة والدّقة في تخيّر اللّفظ ما يلفت النّظر، ولا بأس أن نشير في هذا الموضع إلى مشهد مراودة امرأة العزيز ليوسف. فلفظ "المراودة" في قوله تعالى:**{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(23)}** يدلّ على طول المحنة وشدّتها، فهو كناية عن المخادعة والترغيب في الطلب؛ بالذهاب والمجيء المتكرّر[18]. وقوله تعالى:**"التي هو في بيتها"** زيادة توكيد على تمكُّنِها منه وتَنزّهه عن المعصية. وقوله و**"غَلَّقَت الأبواب"** فقد تمّ الفعل(غَلَّقَتِ) بجرسه الشديد، الذي يوحي بإحكام إغلاق الأبواب لاستكمال بناء الصورة والإيحاء بحالة المرأة المتشوّقة[19]. ثم فلنتأمّل"كيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث بدواعي العفاف الثلاث، مقابلة صوّرت من القصص الممتع جدلا عنيفا بين جند الرّحمن وجند الشيطان، ووضعتهما أمام العقل المنصف في كفتي الميزان"[20]. وعلى العموم يمكن تمثيل المسار الحجاجيّ لهذه الآية كما يلي:ح1المراودة+ح2 التي هو في بيتها+ح3 غلّقت الأبواب+ح4 قالت هيت لك = النتيجة عفّة يوسف وتنزيهه عن المعصية.

ثالثا.مشاهد القصّة: تعتبر مشاهد القصّة محور الوحدة القصّصية، فكلّما كان المشهد صادقا كان له وقع من الإقناع والإمتاع وزيادة التّشويق، يضاف إلى ذلك ما تستصيغه النّفس البشرية من متعة الانتقال من مشهد إلى آخر انطلاقا من نزعة الفضول لتتمّة الأحداث. وما يفتح المجال أمام المتلقي لإعمال الخيال تلك الفجوات التي نعثر عليها بين المشاهد، وذاك القفز من مشهد إلى آخر مع إضمار بعض التفاصيل التي تتطلّب من المتلقي ملأها. ونلخص مشاهد قصّة يوسف فيما يلي:

-**المشهد الأول:** الرؤيا هو مشهد تمهيديّ يمثّل وضع يوسف مع أبيه وإخوته.

-**المشهد الثاني:**غيرة إخوة يوسف ومكرهم بما رأوا من اهتمام والدهم بيوسف وأخيه حيث بلغ الحقد بهم إلى التفكير في قتله[21].

-**المشهد الرابع:** تنفيذ المؤامرة، إلقاء يوسف في الجبّ.

-**المشهد الخامس:** التقاط القافلة له، يندرج هذا المشهد ضمن المرحلة الثانية التي تمثّل انتقاله من البدو إلى القصر. وهذه المشاهد يتخلّلها تشويق كبير ومتغيّرات مليئة بالإثارة والمتعة.

-**المشهد السادس:**مراودة امرأة العزيز له، هنا ينقلنا الخطاب القرآنيّ من الحديث عن يوسف الفتى الصغير، إلى الحديث عن يوسف الفتى الشاب.

المشهد السابع: يصوّر يوسف وهو في السّجن.

-**المشهد الثامن:** براءة سيّدنا يوسف وتفسيره لرؤيا العزيز.

-**المشهد التاسع:** صيرورة يوسف عزيزا لمصر ولقاؤه بإخوته وأبيه.

هذا بالنسبة لأسلوب القصّ، وروعة الأحداث وتسلسلها، وتصوير مشاهدها، فكأنّ القارئ لها يرى تلك المشاهد ويستطيع تخيّلها والاقتداء بها. واللافت للانتباه ذلك الترابط المنطقي بين المشاهد والأحداث؛ إذ يأخذ بعضها بأعناق بعض، فرؤيا يوسف وحبّ والده له أغاضت إخوته، وجعلتهم يدبّرون مؤامرة التخلّص منه، فما كان منهم سوى رميه في الجبّ، الذي تسبّب هو الآخر في بيعه لعزيز مصر، الذي تسبّب له وهو في مرحلة الشّباب في تعرّضه لتحرّش امرأة العزيز، وهذا كان كافيا لدخوله السجن، والتعرّف على ساقي الملك الذي مكنّه من الوصول لسيّده، وعندها مالت الكفّة لصالح يوسف الذي مكّن الله له في الأرض بتولّيه الحكم. إنّ هذا التسلسل التتابعي للأحداث، أو بالأحرى للحجج التي تدلّ على ما عايشه المرسلون وتحديدا نبيّ الله يوسف من محن، تجعلنا حيال ضرب من ضروب الحجج المؤسّسة على بنية الواقع؛ ألا وهي الاتّصال التتابعي، وتحديدا الوصل السببيّ[22]. وفيها نعثر على ضروب الحجاج التالية:

-حجاج يهدف إلى الربط بين حدثين أو أكثر بواسطة رابط سببيّ، هنا يتم الانتقال من المقدّمة للوصول إلى النتيجة. وهذا ما نلفيه في الأحداث السالفة الذكر، مثل: مكر الإخوة تسبّب في رمي يوسف في الجبّ، والمراودة تسببت في دخوله السّجن...وهكذا.

-حجاج يهدف إلى أن يستخلص من حدث ما وقع سببا أحدثه، فالانتقال هنا يكون من النتيجة إلى السبب، مثل خروج يوسف من السجن بسبب تفسيره رؤيا الملك وإعلان براءته.

-حجاج يهدف إلى التكهّن بما سينجرّ عن حدث ما من نتائج، مثل مراودة امرأة العزيز ليوسف (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوء إلّا أن يسجن أو عذاب أليم).

ولعلّ ممّا ساعد على حضور الحدث في المشاهد القصصية هو الاهتمام بذكر المكان (الجبّ، مصر، بيت امرأة العزيز،السجن،العرش) مقرونا اقترانا تلازميا بإشارات تدلّ على الزمان(يوسف الفتى الصغير الذي أكرم برؤيا مستقبلية، لمّا بلغ أشدّه، يوسف لمّا تقدّم في العمر وصار عزيزا)، مع الميل إلى استخدام الألفاظ الحسّية دون الألفاظ المجرّدة[23]. وإيراد تلك الأحداث بما تضمّنته من دلائل منطقيّة

بعيدة عن الغموض والتّضارب، فيه قوّة إقناع نابعة من سلامة المنطق ووضوح الرّؤية، كيف لا وهو ضرب من ضروب الإعجاز القرآنيّ في الإيجاز والإطناب[24].

الملاحظ هنا أنّ الانطلاقة في القصص كانت من المدرك العقلي(الرؤيا) إلى المدرك الحسّي المتمثّل في تجلّي القدرة الإلهيّة المطلقة بتقليب الأحوال. ونظرا لبعدها التّأثيريّ المتمثّل في تنبيه الفكر عن طريق الملاحظة، وإثارة العواطف بما سردته من أخبار الأمم الماضية، وبيان عظمة الإله كان لا بدّ لها أن تعتمد على منهج عرض محكم للأحداث، هو ما توفّر فيها أصلا.

ومن حلاوة القصة أنّنا نشاهد أحداثها وكأنّنا نعايشها ولا نقرأها فحسب، وجميع المشاهد يصدق عليها ذلك؛ إنّنا نتخيّل أنفسنا في قاع الجبّ بمفردنا، ونتخيّل أنفسنا في سوق العبيد، وفي قمة العزّ في قصر العزيز.... "فبقدر ما يكون الموضوع مخصوصا يكون أبعث على الانفعال"[25]؛ كيف لا وقصّة يوسف ليست للتسلية بل تضمّنت معان عميقة، وهذا ما جعلها تركّز فقط على الأحداث التي تخدم المغزى العام.

رابعا.القيم الحجاجية: كلّ خطاب يحمل قيمة معيّنة، تتحدّد من الأقوال والأفعال التي تهدف إلى التأثير في المتلقّي وتغيير السّلوك أو المعتقد. وقد وُصفت قصّة يوسف بأنّها أحسن القصص لما فيها من الفوائد الدينية والدنيوية، والقول بذلك فيه متعة كبيرة؛ "فإنّ المخاطَب إذا قرع سمعه هذا الوصف للقصة تنبّه إلى تأمّلها، فيجد أنّ كل قضية فيها ختمت بخير، وكل ضيق انتهى بسعة، وكل شدّة آلت إلى رخاء"[26]، ووجه الاعتبار في ذلك أنّ الذي قدر على إخراج يوسف من الجبّ والسّجن، وتمكينه مصر بعد العبودية، ولمّ شمله بأبيه وإخوته....قادر على إعزاز نبيّه محمد، ونصر دينه....ومفاد القول هو حسن الظنّ بالله وبتدبيره.

3. 1. 3 الترغيب وبعده التأثيري

ممّا يستعان به في استمالة الآخرين. ويصادفنا هذا الأسلوب في مواضع مختلفة، مثل:

1- قوله تعالى:**{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ(39)}**تصف لنا هذه الآية الترغيب في دعوة يوسف لأصحابه إلى عبادة الذّي ولي كل شيء بعزّ جلاله وعظمة سلطانه[27].

2- قوله تعالى: {**وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (59)**}؛ حيث نجد ترغيبا من يوسف لإخوته في الرجوع إليه ومعهم أخوهم الصغير.كما يتّضح لنا ترغيب الله سبحانه وتعالى في اتّباع طريق الأنبياء والصبر وذلك بتثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وقلوب المؤمنين في أوقات المحن والابتلاءات[28].

وعلى العموم تتجلّى الأبعاد التأثيرية لأسلوب الترغيب في هذه النماذج في:

- الترغيب في الإيمان بالله وإخلاص العبادة له-الترغيب في السّير على نهج المرسلين في الصبر والثبات-الترغيب في الحثّ على البرّ ومقابلة الإساءة بالإحسان-الترغيب في العفو بين الإخوة.

3. 1. 4 أسلوب الحوار وبعده الإقناعي: كان له هو الآخر أبعادا تأثيرية باعتباره من الأساليب التّعبيريّة ساهم في رسم معالم الشّخصيّة، كما كشف عن حركة الصراع في بواطنها، وعمل على تحديد مسار الأحداث المرتبطة بها، وإضفاء الواقعيّة على القصّة[29]، واللّافت للنّظر أنّ الحوار قد مثّل المشهد القصصيّ من بدايته إلى نهايته، كما ساهم في بناء القصّة، ممّا جعله ينطوي على أبعاد إقناعيّة. ومن أنواع الحوار التي نعثر عليها في القصّة نذكر:

1.حوار الرؤيا:الذي دار بين يوسف ووالده، ممّا جعله يلخّص مشهدا مستقبليّا، عكس منهجية عظيمة بين المتحاورين؛ يطبعها التأدّب. قال البقاعي: "فقد خاطبه بأحبّ ما يخاطب به، مع إظهار الترّحم والشفقة والتحنّن ليكون ذلك أدعى لقبول النّصح "[30].

2.حوار تدبير المؤامرة: يجسّد منهجية الترغيب والتهييج والترهيب، بمنع التفكير في البدائل والخيارات وذلك باقتراح الحلول مباشرة[31]،**{اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا(9)}**؛ وقد كان لهذه المنهجية أثرها على الإخوة المتعاطفين، الذين حاولوا ردّ الاقتراح بالقتل إلى رميه في الجبّ[32].

3.حوار تفسير الرؤيا: بين يوسف وصاحبي السّجن، وكيف استثمر يوسف هذا الحوار إقامة الأدلّة على فساد العقائد الأخرى، بالاعتماد على أسلوب التدرّج، ما دام الانتقال من مرحلة لأخرى يحتاج إلى براعة في الإقناع والاستخدام الدقيق للمفردات وصياغة التراكيب[33].

وهكذا فقد عمل الحوار على نقل فعل التّخاطب "من طور النزعة الفردية المعروفة إلى طور الشراكة الجماعية التي تقتضي بدورها فعلا حجاجيا قوامه الحوار والإقناع"[34].

2.3 أساليب الإقناع العقلي:

يتمثّل هذا الجانب في نظم القرآن وأسلوبه البيانيّ، الذي يجلي تناسبا في النّظم وروعة في الأسلوب[35]. ومع تعدّد أساليب الإقناع العقلي في القصة سنشير إلى أهمّها فقط.

1. 2.3 الآليات البلاغية وبعدها الحجاجي:

1. الاستعارة:(يا أبت إنّي رأيت أحد عشرا كوكبا...)استعير فيها السّجود لغير العاقل مبالغة في الاحترام(حجّة)؛ فهو ليس بسجود عبادة. ويمكن تمثيل المسار الحجاجي لهذه الاستعارة كالتالي:

مقدّمة: سجود الكواكب والشمس والقمر= النتيجة: علوّ شأن يوسف

كما يمكن تمثيلها سلّميّا:

وهكذا كان من خصائص الاستعارة "أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللّفظ... لأنّك إن شئت أرتك المعاني اللّطيفة التي هي من خبايا العقل كأنّها قد جسّدت حتى رأتها العيون"[36].

-(قالوا أضغاث أحلام) هو تعبير استعاريّ فيه تبرير للمنجّمين عن عجزهم عن تأويل رؤيا الملك، لذلك وردت المبالغة في وصف الرؤيا بالبطلان(حجّة). والقول الاستعاريّ مركّب من:

مقدّمة:حلم: أضغاث أحلام= النتيجة: العجز عن تأويل الرؤيا

2.المجاز المرسل:(واسأل القرية...) مبنيّة على مقدّمة حجاجية (واسأل القرية) ونتيجة (إنّا لصادقون)؛ حيث نلمس فيها مبالغة من الإخوة لصرف تهمة السّرقة عنهم، وإقناع أبيهم ببراءتهم، ولمزيد تأكيد جاء قولهم: وإنّا لصادقون. وبما أنّ المجاز هنا عقليّ فإنّه يؤدّي وظيفة استدلالية؛ إذ يتوجّه إلى عقل المخاطَب. كما يؤدّي وظيفة نفسية؛ إذ يستهدف التأثير في نفسيته[37]. وقد أشار الجرجاني قديما إلى أنّ الوظيفة الحجاجية للمجاز تكون أقوى في جملة يقع فيها المجاز في الإثبات؛ أي عندما يكون عقليا[38].

3.الكناية:(قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف...)؛ فقد اتّخذ الإخوة من حبّهم لأخيهم حجّة لإقناع أبيهم أن يستأمنهم عليه، وكأنّهم قالوا: لِمَ تخاف عليه منّا ونحن نحبّه ونريد الخير به[39]؟ .وتوجيه الكناية حجاجيا يكون على شاكلة: مقدّمة(حجّة): وإنّا له لناصحون= النتيجة: الاستئمان على يوسف.

-(اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم). المسار الحجاجيّ لهذه الصورة البلاغية ينطلق من مقدمة حجاجية (قتل يوسف أو التخلّص منه) تخدم نتيجة معيّنة (نيل محبّة أبيهم)؛ يقول الرازي في ذلك:"المعنى أنّ يوسف شغله عنّا وصرف وجهه إليه، فإذا فقده أقبل علينا بالمحبّة والميل[40]". وقد قدّم لهذا المعنى بمقدّمة أولية سبقت الآية الكريمة،هي قول الإخوة:(إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبّ إلى أبينا منّا ونحن عصبة) لإثارة مشاعر الرّأفة لدى السّامعين؛ فكان قولهم بمثابة مبرّر لصنيعهم(حجّة).

4.الانتقال من الجزء إلى الكل: فيه تطرح الحجّة في المقدّمة، وتتعدّد أجزاؤها التي هي بمثابة حجج، لتخدم نتيجة واحدة. وهو شكل من أشكال الحجج شبه المنطقية. ولعلّ أكثر نموذج يوضّح لنا هذا النّوع قول إخوة يوسف:(قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنّا على يوسف...)؛ حيث يمكن تمثيل المسار الحجاجيّ للقول كما يلي:

مقدّمات:ح1 إنّا له لناصحون+ح2 يرتع ويلعب+ح3 إنّا له لحافظون+ح4 نحن عصبة=النتيجة الاستئمان على يوسف بإرساله معهم. ولهذه الترسيمة الحجاجية ترسيمة أخرى اعتراضية في السياق نفسه صادرة عن يعقوب عليه السّلام:

مقدّمات:ح1إنّه ليحزنني+ح2أخاف أن يأكله الذئب+ح3أنتم عنه غافلون = النتيجة الضمنية الامتناع عن إرسال يوسف. ويمكن تمثيل الترسيمتين سلّميا أين تجعل ح1 في مرتبة أعلى من السّلم باعتبارها أقوى حجّة، تليها ح2 وح3 وح4 باعتبارها متفرّعة عن ح1، وصولا إلى النتيجة.

2.2.3 الأدوات اللغوية وبعدها الحجاجي:

تعمل على الرّبط بين المقدّمات والنتائج، فـ"المعطيات والقرائن اللغوية تمثّل توجيهات وتعليمات تحدّد دلالة القول ووجهته الحجاجية"[41]. وفي هذا الإطار يقوم الخطاب القرآنيّ على إستراتيجية لغويّة خاصة تهدف إلى التأثير في المتلقّي:

1.الرّوابط الحجاجية: تكمن قيمتها الحجاجية في الربط بين حجّتين أو أكثر وترتيب درجاتها.

-بل: من روابط التعارض الحجاجي. نمثّل له بكيد الإخوة (وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا)؛ حيث جمع بين علاقة حجاجية مكوّنة من حجّتين:

ح1(وجاءوا على قميصه بدم كذب) = النتيجة إقناع والدهم بمقتل يوسف = الرابط بل حرف إضراب أفاد إبطال ح1 لصالح حجّة مضادة أقوى = حجّة التسويل = النتيجة الضمنية كذب الإخوة وبراءة الذئب. يمكن اعتبار الحجّة الأولى حجّة الرّمز؛ و"قيمة الرمز ودلالته تستمدان ممّا يوجد من ترابط واتّصال تزامنيّ بين الرّامز والمرموز إليه"[42]. ومن غريب إثبات دعوى الإخوة هنا أن قُرِن التدليل على صدقهم (بأن جعلوا القميص الملطّخ بالدمّ دليلا على صدقهم) بعلامة أخرى تعارضها وهي سلامة القميص من آثار التمزيق[43] للتدليل على كذبهم.

-الواو والفاء: يعملان على الجمع بين الحجج، وتقوية بعضها لخدمة النتيجة، ممّا نمثّل له بقوله تعالى:**(وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك)**؛ حيث تمّ الرّبط بين ثلاث حجج، جاءت متساوقة مترابطة، يخدم أوّلها آخرها:

ح1 المراودة+ح2 غلّقت الأبواب+ح3 قالت هيت لك = تخدم نتيجة واحدة هي تأكيد الغواية. فالملاحظ هنا أنّ مسألة الغواية تمّت من خلال الإشارة إلى ما ارتبط بها من جزئيات.وهذا ضرب من ضروب الحجة القائمة على التقسيم.

-وقوله تعالى:(فاستجاب له ربّه فصرف عنه كيدهنّ). يمكن تمثيل المسار الحجاجيّ للقول وعمل الروّابط بـ ح1 فاستجاب الله له+الرابط فـ+ ح2 أقوى من ح1 صرف كيد النّسوة عنه النتيجة تنزيه رسوله وإحاطته بالعفّة.

2.العوامل الحجاجية: تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية في قول ما.

-القصر بالنفي والاستثناء: يعدّ النفي من الموجّهات التعبيرية لأنّه "ردّ على إثبات فعليّ أو محتمل حصوله من قبل الغير"[44] نمثّل له بقوله تعالى:(ما تعبدون من دونه إلّا أسماء...) هذا قول حجاجيّ قائم على إبطال دعوى وجود الآلهة التي يزعمون عبادتها، لذلك جاء قصرها على أنّها ليس لها في الوجود إلّا أسماء لا مسمّيات لها؛ ح1عبادتكم لأصنام= ح2 ما هي إلّا أسماء سيمتموها =ح3 ما أنزل الله بها من سلطان = النتيجة إثبات الوحدانية لله.

وبالتالي فقد استند يوسف إلى مجموعة من الأدلّة العقلية والنقلية، معتمدا على أسلوب التدرّج في الدّعوة وإلزام الحجّة.

3.أفعال الكلام:

أوّلا.فعل الإخبار: ومن نماذجه ما نصادفه في افتتاحية السورة (إنّا أنزلناه قرآنيا عربيا...):ح1 إنّا أنزلناه +ح2 نقصّ عليك أحسن القصص+ح3 نحن أوحينا إليك هذا القرآن = النتيجة التأكيد على صدق نبوّته عليه السّلام بالقرآن، وبقصّة يوسف، والتشويق لها.

والنموذج الآخر نأخذه من خاتمة السورة (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) وردت هنا مجموعة من أفعال الكلام الإخبارية، التي وجّهت الحجاج وجهة محدّدة نحو الإقناع بالهدف العام من القصص القرآنيّ؛ حيث أفادت الأفعال الإخبار عن دلائل وإثباتات: -القصص عبرة لأولي الألباب –نفي الافتراء عنها –فيها تفصيل كلّ شيء –هي هدى ورحمة في الدنيا والآخرة.

ثانيا.الأفعال الإنشائية: من أكثر أنواعها حضورا في القصّة الاستفهام، ولعلّ طاقتها الحجاجية تكمن فيما تؤدّيه عند خروجها عن مقتضى الظاهر.

1.أسلوب الاستفهام وبعده الإقناعي: ما يهمّنا في هذا السّياق هو الاستفهام غير الحقيقي الذي تنوّعت أغراضه البلاغية، كونه يشكّل بيت القصيد في العملية الحوارية الإقناعية، لا سيما وأنّه من الموجّهات التعبيرية، إذ "يفترض السؤال شيئا تعلّق به ذلك السّؤال....قد يهدف أحيانا إلى حمل من وجّه إليه الاستفهام على إبداء موافقته إذا أجاب على ما جاء الاستفهام يقتضيه"[45].وهذا ما نلمسه في النّماذج التالية:

أ.استفهام إخوة يوسف لوالدهم: فيقوله تعالى: {**قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ(11)**}فصيغة السؤال تدلّ على تكرارهم وتعدد محاولاتهم إلى أخذ أخيهم معهم لتنفيذ مؤامراتهم. وقولهم(يَا أَبَانَا)"بهذا اللفظ الموحي فيه نوع من الاستمالة العاطفية[46] ".إذا فالغاية من هذا الاستفهام هي التأثير على الأب ليتراجع عن فكرة امتناعه.

ب.استفهام امرأة العزيز لزوجها: في قولها:{**مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا** }هو استفهام غايته تبرئة نفسها وإثبات التهمة ليوسف، كما أنّها لم تخصّصه في اتّهامها، بل وظفت الاسم الموصول(من) وحدّدت نوع العقوبة بقولها(**إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)، وفي ذلك محاولة لإقناع زوجها ببراءتها، كما أنّها محاولة لترهيب يوسف من كيدها[47].

ج.استفهام يوسف عليه السّلام للسّجينين: {**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ(39)**}. بدأ يوسف قوله بتوظيف النداء للفت انتباههما، ونداؤهما بهذه التسمية تذكير لهما بالصلة التي تربطهما، كما يعتبر هذا النداء استمالة عاطفية للاقتناع وتقبّل الفكرة التي ستوجّه لهما من خلال الاستفهام. يقول الشعراوي: "حين تطرح سؤالا عبر مقابل لك، فأنت تعلم مقدّما أنّه يفهم أنّ أربابا متفرّقون ليسوا خيرا من إله واحد، وكأنّ يوسف قد وثق من أنّ إجابتهما لن تكون إلا بقولهم(بل عبادة إله واحد خير)"[48]. وبهذا نجد يوسف قد نجح في توظيف إستراتيجية الاستدلال العقلي والاستفهام التقريري في الإقناع بقضية الوحدانية.

رابعا: استفهام يوسف لإخوته:وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ(59)}. في هذه الآية نجد استعانة بأسلوب الترغيب؛ لأنّ يوسف "أرادهم الإتيان بأخيهم عن طريق الإقناع، دون طريقة القسر، لأنّ طريقة الإقناع هي التي تولّد الميل في الإنسان ليجتهد في تحصيل ما يراد منه"[49].

4.أسلوب التكرار وبعده الإقناعي

عادة ما يوظّف التكرار "لإبراز شدّة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها"[50]، وتظهر ملامح التّكرار في القصّة في تكرار بعض الألفاظ مثل: لفظ "القرآن" في آيات متتالية لعظم الكلمة، وتكرار لفظ "كيد" عند التأكيد على الخطر.... وسنتناول أبرزها فيما يلي:

أوّلا.التكرار في لفظة القرآن: في قوله تعالى: {**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ(3)}**.هناك إشارة إلى آيات القرآن الكريم وأنّه منزّل بلغة العرب، وأنّ قصص القرآن من أحسن القصص، وتكرار اللفظ لعظم ما هو موجود في السورة من أخبار وأنباء عن الأقوام السّابقة، فقد "تكرّر لفظ(القرآن) بالتصريح والإضمار؛ بين الكتاب، قرآنا، القرآن[51].

ثانيا.التكرار في لفظة يا صاحبي السّجن:{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ(39)}.

-{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ(41)}.

فيه تكرار في مناداة صاحبي السّجن؛ ففي الموضع الأوّل ناداهما يوسف للفت الانتباه حين عَدَل عن جوابهما إلى دعائهما إلى الإيمان بتوظيف أسلوب الترغيب، وفي الثاني ناداهما حين دعياه إلى تعبير الرؤيا لهما تنبيها على أنّ الكلام الأوّل قد تمّ[52].

وبالتالي فإنّ التكرار في هذه النماذج وإن كان في لفظ واحد لكن الاختلاف حاصل في المعنى، ويفيد الإقناع في تلبية الطلب.

5.أسلوب التوكيد وبعده الإقناعي

أوّلا.التوكيد بما النافية وحرف الجرّ الزائد: في مثل قوله تعالى:{**قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ(17)**}فبالرغم من أنّ يعقوب عليه السّلام حذّر أبناءه من أن يأكله الذئب، رجعوا إليه حاملين عذرهم الذي حذّرهم منه، فأكدّوا لأبيهم على أنّهم ذهبوا للاستباق، بالرغم من أنّهم كانوا واثقين من أنّ وسائل التوكيد التي يلجؤون إليها في كلامهم عاجزة عن إقناع أبيهم وهي فكرته في الأصل، حيث نجدهم "أتبعوا قولهم (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) بقولهم (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) فأكّدوه بما النافية العاملة عمل ليس وحرف الجر الزائد(الباء)"[53] أي وما كنت بمطمئن لما نقوله ولو كان الصدق. ويطلق على هذا النوع من الحجج بالتعارضية؛ التي "تحدث في علاقة الملافيظ بالمقام"[54]؛ فقول إخوة يوسف كان من باب التعارض بين المقال والمقام.

ثانيا.التوكيد بـ إنّ: وذلك في قوله تعالى:{**(قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(78)**}. نلاحظ في هذه الآية محاولة استعمال إخوة يوسف التأثير النفسي العاطفي من أجل استرحام واسترضاء العزيز يوسف، وذلك باعتمادهم أسلوب التوكيد بالأداة إنّ مرّتين.

ثالثا.التوكيد بالقسم: في مثل قوله تعالى:{ **(قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95)**}؛ ففي قولهم (تَاللَّهِ) بصيغة القسم، وقولهم(إنّ) بحرف التوكيد وكاف الخطاب، وقولهم (لَفِي) بدلالة اللام المزحلقة، وقولهم (ضَلَالِكَ) بما تفيده اللفظة وإضافتها إلى كاف الخطاب، ثم قولهم (القَدِيمِ) الذي هو من نوع التذكير بأنّ هذه السيرة قد طالت كثيرا ولم يعد بمقدورهم الصبر أكثر، كلّها مؤكّدات فيها تدليل على محاولة إقناع والدهم بأنّه مخطئ لأنه مازال يذكر يوسف، وأيضا إقناعه بنسيانه لأنّ الحادثة قديمة مرّ عليها زمن طويل[55]..

وهكذا أسهبت السّورة في استعمال التوكيد بتنوّع أدواته للتدليل على أهمية موضوعها الذي أتت القصة من أجله، والمتمثل في إبراز عقيدة التوحيد، والتدليل على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك بإخباره عن حوادث غيبية، لا سيما وأنّ التوكيد هو إقناع المتلقي بفكرة ما، كما يعزّز الثّقة في نفس وعقل المتلقي، ممّا يؤدّي به إلى الاقتناع وتصديق ما يقرأ.

6.النّعوت وبعدها الإقناعي

يمكن أن نمثّل لها بنعت يوسف بالصّدق مرّتين؛ الأولى في خطاب الساقي له(يوسف أيّها الصدّيق) إذ لم يقف عند مناداته باسمه بل أضاف وصف الصدّيق لا الصّادق، "لأنّه كان قد جرّب صدقه في تعبير الرؤيا التي رآها في السّجن، والصدّيق مبالغة من الصّدق"[56] حتى صار الوصف ملازما له. و"هذا من براعة الاستهلال فقد قدّم الثناء قبل السؤال طمعا في إجابة مطلبه"[57]. كما وصف بالصّدق في شهادة امرأة العزيز(أنا راودته عن نفسه وإنّه لمن الصّادقين) وهذا اعتراف منها وحجّة ببراءة يوسف وصدقه لما قال:(هي راودتني عن نفسي).

وممّا وصفت به رؤيا الملك من قبل المنجّمين قولهم:(أضغاث أحلام) بما يحمله وصف الأضغاث من بلاغة وحسن تدليل على المقصود، لا سيما وأنّه قدّم كحجّة أوّلية للتدليل على استحالة تأويلها؛ فقد شبّه القرآن اختلاط الأحلام وما فيها من المحبوب والمكروه باختلاط الحشيش المجموع من أصناف كثيرة[58].

وانطلاقا من هذه المعطيات فإنّ المقصد الحجاجيّ من إطلاق الصفة كان تحديد نوع الموقف الذي ينبغي أن يحكم به[59]، وعلى هذا النّحو فإنّ تجريم إخوة يوسف بالسّرقة يتجاوز إدانتهم إلى تحديد نوع العقوبة في حقّهم.

7.أسلوب الترهيب وبعده الإقناعي

يعتبر وسيلة من وسائل الإقناع العقلي في القرآن. ومن نماذجه الظّاهرة في القصة نذكر:

-قوله تعالى: {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (32)}.في هذه الآية "إيماء إلى أنّها (امرأة العزيز) ستشدّد العقوبة عليه أكثر ممّا أوعدت به أوّلا. فالخطاب في هذا السّياق يجسّد سلطة المتكلّم.

2-وقوله تعالى:{فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (60)}تكشف عن الشخصية الجديدة ليوسف، شخصية الحزم والقوة. فبعد استعماله لأسلوب الترغيب في البداية في قوله:{ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (59)} أتبعه بأسلوب الترهيب حتى لا يترك لهم خيارات عديدة. "ويتّضح لنا أثر التهديد بسرعة حين قبلوا مطلبه بسرعة، كما يظهر في قوله تعالى:{قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَ إِنَّا لَفَاعِلُونَ} فالمراودة "هي التلطف والاحتيال للإقناع بتلبية المطالب". وهذا الخطاب كسابقه ذو بعد سلطويّ، ممّا يفتح المجال للحديث عن حجّة السّلطة في هذا السّياق.

وعلى العموم تتجلّى الأبعاد التأثيرية لهذا الأسلوب فيما يلي:

-الترهيب من معصية الله ورسوله، الترهيب من الكفر والشرك بالله، الترهيب من غضب الله.

وهكذا فقد حفلت قصّة يوسف عليه السّلام بأساليب تصويريّة مختلفة، ذات فعالية كبيرة في تحصيل الأثر التّداوليّ المتمثّل في الإقناع.

4. خاتمة:

من خلال عرضنا لهذا الموضوع الشيّق أمكننا أن نخلص إلى جملة من النتائج، نعرضها في النقاط التالية:

-القصص القرآنية ليست كغيرها من القَصَص لاحتوائها على وقائع حقيقية، وبراهين ودلائل تثبت صدقها، وأنّ كل ما جاء فيها يخدم الفرد في دنياه وآخرته. وقصّة سيدنا يوسف عليه السّلام من أحسن القصص كما وصفها القرآن، وأكملها وأمتعها لاحتوائها على غايات نبيلة بنيت على مكارم الأخلاق، ودحضِ الشّبهات، وإظهار الحقّ، ودعوة المشركين للتوحيد والتصديق بالمرسلين.

-وممّا زاد القصة حسنا ما جسّدته لنا مجموع المشاهد التي تراوحت بين المؤثّرة المحزنة والمفرحة ، بما عرضته من أحداث رسَمَت معالمها بكثير من التّشويق شخصيات واقعية مختلفة، ذات طبائع متباينة، فخاطبت بذلك العاطفة حتى استمالتها وانقادت لمغزاها، وخاطبت العقل فأقنعت متدبّرها.

-وممّا زاد القصّة متعة بناء القصّ على أسلوب التشويق، سواء تعلّق الأمر بأسلوب التصوير الخارجي للقصة، الذي نطالع فيه بداية القصة، وصولا إلى النهاية، مع ما خضعا له من توافق عجيب، إضافة إلى ما طبع شخصياتها من سمات تمييزية عكست مواقف تعارضية أضفت على القصة ككل طابعا حجاجيا. أمّا ما تعلّق بالتصوير الداخلي للقصّة فقد عرضنا من خلاله لتفرّد أسلوب القصّ في عرض المشاهد وتسلسل الأحداث بالبناء على السابق والتقديم للاحق، والبلاغة في اختيار الألفاظ، والحوار....

-وفي مقابل أساليب الإمتاع العاطفي تلك فقد بنيت القصّة على أساليب مختلفة وجّهت لإقناع العقل تراوحت بين الآليات البلاغية، والأدوات اللغوية، وأفعال الكلام....

-وعليه يجمع الحجاج في قصّة يوسف بين إمتاع العاطفة وإقناع العقل، ولا تعارض بين الاثنين؛ فإذا كانت غاية الحجاج هي تحقيق الإقناع، فهي الغاية ذاتها التي يؤدّيها الإمتاع، باعتباره أداة من أدوات الاستمالة العاطفية، التي تعمل على دغدغة العواطف، واستمالة المتلقّي، لبلوغ درجة عالية من الإذعان.

وعلى العموم نقول أنَّ الأساليب الحجاجية الخاصة بالقرآن لا يمكن حصرها في القصّة فقط، فالقرآن كلّه إقناع لأنّ فيه محاجة لأهل الشرك والكفر والظلال، وفيه دعوة للناس بتوحيد الله والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه واتّباع هدى نبيّه، فهو كتاب دين ودنيا معا.

-أمّا بخصوص منهج الدّراسة فقد قادنا التحليل إلى أنّ ما يثيره النصّ القرآنيّ باعتباره نصّ متفرّد على جميع المستويات الشّكلية والمضمونية، وما تثيره المناهج النّقدية الحديثة، يفرض على الباحث دراسة تتوافق والطّرح الواعي لخصوصية النصّ المقدّس في مقابل الخصوصية المرجعية لكل منهج تحليليّ، ومع كثرة المناهج وتعدّد مرتكزاتها التحليلية إلّا أنّ النص القرآنيّ ما يزال في حاجة إلى مزيد من القراءة والتمعّن.

-أمكننا مقاربة القصّة القرآنية مقاربة تداولية، ممّا مكّننا من كشف بعضٍ من وجوهها الإعجازية الشكلية والمضمونية، وقد ركّزنا الحديث عن الأساليب التصويرية في القصّة، وعن فاعليتها في إحراز الأثر التداولي المتمثّل في الإقناع، ممّا جعل القصّة خطابا زاوج بين الإمتاع والإقناع في مزيج واحد لا يقيم تعارضا بين الاثنين. وقد تعمدنا صياغة بعضٍ من وجوهها الإعجازية من منطلق أنّه لا توجد نظرية منهجيّة كاملة للإحاطة بمضامين القرآن، والكشف عن كافة أبعاده الدّلالية والتداولية، وهذا ما يجعله نصا خالدا مفتوحا على قراءات وتأويلات مختلفة، من شأنها أن تفتح آفاقا رحبة لدراسته على عدّة أصعدة، وبمقاربات منهجية مختلفة.

5. الهوامش:

[1]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود،(د ت)، كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، ص 309.

[2]- القصص القرآني إقناع وإبداع، السيّد عبد المقصود عسكر، (2000)، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ص07.

[3]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود ، ص 330، 331.

[4]- مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر عوض الألمعي، (1404ه)، مطابع الفرزدق، الرياض، ص79.

[5]- المرجع نفسه، ص11.

[6]- الفن القصصيّ العربيّ القديم من القرن الرابع إلى القرن السّابع، عزّة الغنّام، (1991)، الدار الفنية، القاهرة، ص111، 112.

[7]- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، (1975)، دار المعرفة، بيروت، ص 08.

[8]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود ، ص303.

[9]- عبد الله بن صالح العريني. (2007). جماليات البداية والنهاية في القصّة القرآنية. المصدر الدرعية (37/ 38). السنة العاشرة. أبريل يوليو 2007. على موقع الألوكه:https://www.alukah.net/sharia تاريخ النّشر: 2010/03/21. تاريخ الاسترداد الأحد 10 أفريل، 2022، ص13.

[10]-المرجع نفسه، ص 13.

[11]- عظات وعبر في قصّص الأنبياء والمرسلين، عبد العظيم سعيد، (د ت)، دار القمة ودار الإيمان، الإسكندرية، ص292.

[12]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود ، ص334.

[13]-جميل حمداوي،(2020)، نظريات الحجاج، على موقع: الألوكه: https:// www.alukah.net /books/files /book /bookfile _3719 /hegaag.pdf،تاريخ النّشر:21 أكتوبر2020، تاريخ الاسترداد: الخميس07 أفريل 2022، ص29.

[14]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود ، ص 334.

[15]- التفسير الوجيز، أسباب النزول وقواعد الترتيل وهبة الزحيلي، وهبة الزحيلي، (د ت)، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص236.

[16]- فنّ القصّة، يوسف نجم، (1966)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص21.

[17]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود ، ص311.

[18]- الوحي والنبوّة والعلم في سورة يوسف، عبد الحميد محمد وطهاز، (د ت)، دار القلم، دمشق، ص 44.

[19]- وظيفة الصّورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، (2001). الجزء01، دار فصّلت للدراسات والترجمة، حلب، ص389.

[20]- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، (د ت)، الجزء 02، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص226.

[21]- عبر ودلالات من سورة يوسف، عبد الله بن علي بصفر، (2005)، دار نور المكتبات، السعودية، ص19.

[22]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود ، ص 330، 332.

[23]-المرجع نفسه، ص 319.

[24]- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني،(1981)، المجلد 02، دار القرآن الكريم، بيروت، ص36.

[25]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود ، ص 318.

[26]- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش. (1996)، دار ابن كثير، بيروت، ص 452.

[27]- تيسير الكريم الرحيم في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (2002)، دار السلام، السعودية، ص459.

[28]- الإدارة في سورة يوسف عليه السلام، نايف شعبان عبد الله قرموط، (2009)، كلية أصول الدّين، غزّة، ص 20.

[29]- سيكولوجية الحوار في القرآن، بحث في خصوصية الخطاب القرآني، أنوار جواد المظفر، (1986)، (أطروحة ماجستير)، كلية الشريعة، جامعة بغداد، بغداد، ص 04، 06.

[30]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (د ت)، المجلد 05، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص161.

[31]- حوارات سورة يوسف: منهجيات قرآنية في التأثير والإقناع، ماجد رجب العبد، ناجي رجب العبد سكر، (2018)، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد 44، ص161.

[32]- المرجع نفسه، ص 161.

[33]- المرجع نفسهّ، ص 164.

[34]- سيميائيات التواصل وفعالية الحوار،المفاهيم والآليات، أحمد يوسف،(د ت)،منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب، كلية الآداب، وهران، ص88، 90.

[35]-أساليب التّشويق والتعزيز في القرآن الكريم، الحسين محمود جلو جرنو، (1994)، مؤسسة الرسالة، دار العلوم الإنسانية، بيروت، دمشق، ص158.

[36]- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، (1991)،دار الجيل، بيروت، ص33.

[37]- الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيلي علوي، (2010)، المجلد 03، عالم الكتب الحديث ، إربد، الأردن، ص161.

[38]- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص334.

[39]- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ، ص 39.

[40]- التفسير الكبير مفاتيح الغيب، فخر الدّين الرازي،(1981)، الجزء 18، دار الفكر، بيروت، ص94.

[41]- نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، حمادي صمود، ص389، 390.

[42]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود ، ص 336.

[43]- التفسير الوجيز، أسباب النزول وقواعد الترتيل وهبة الزحيلي، ص 227.

[44]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود ، ص 320.

[45]-المرجع نفسه، ص 321.

[46]- في ظلال القرآن، السيّد قطب، (2003)، المجلد 4، دار الشروق، القاهرة، ص1974.

[47]- التفسير الوسيط، لجنة علماء، (1992)، المجلد 04، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الأزهر، ص309.

[48]- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (1991)، المجلد 11، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، مصر، ص6955.

[49]- مؤتمر تفسير سورة يوسف، عبد الله العلمي الغزي، (1961)، دار الفكر، دمشق، ص1010.

[50]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود ، ص 318.

[51]- أسرار التعبير القرآني في حوار نبي الله يوسف مع صاحبيه في السجن، مصطفى أحمد قندير، (2007)، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، العدد 13، ص135.

[52]- أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة الكرماني، (د ت)، دار الفضيلة، ص149.

[53]- في ظلال القرآن، السيّد قطب، ص 1976.

[54]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود ، ص 325 .

[55]- في التذوق الجمالي لسورة يوسف، حمد علي أبو حمدة، (1985)، دار البشير، عمان، ص59.

[56]- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ص 55.

[57]- المرجع نفسه، ص 60.

[58]- المرجع نفسه، ص 60.

[59]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، حمادي صمود ، صفحة 316.